

مساهمة "عزة عبد القادر" في التأريخ لأعلام منطقة سيدي بلعباس

The contribution of "Azza Abdel kader" to the history of the Personalities of Sidi Bel Abbes country.

د. زايد عزالدين

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة سيدي بلعباس-الجزائر

azzeddinezaidi@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/11/23 تاريخ القبول: 2021/12/04 تاريخ النشر: 2021/12/30

ABSTRACT :

The subject of study devoted to local and national "Personalities" represents an important stage in the historical journey of peoples, nations, Ahwaz, tribes and sometimes-even minorities. Therefore, researchers in search of this segment of the population should pause and reflect on the lives of those who have become, over time, part of national and local memory due to many considerations, such as development, affiliation, race, ethnicity, religion, ideology, and sometimes even, for marketing purposes. As for discussing the region of Sidi Bel Abbes, and in particular, on its personalities, it is our duty to pay attention to the local history in order to highlight the characteristics of the local personalities, who contributed to the writing of the history of its national movement, and its various contributions to resistance to French colonialism by any means at its disposal.

Contributing to introducing the flags of a region is also part of writing the local history and with it the general history of Algeria,

which is replete with models and samples in different and diverse fields, so that pens raise to them or bow their heads in reverence and recognition of the intellectual effort presented to their country that enriched the political and cultural life of Algeria.

From the scientific article, which follows, we wanted to present the role played by this emblematic personality, who is "Azza Abdel Qader", who stood out for his contribution to define a very influential personality, in the person of the poet. of the region, "Mustafa Benbrahim", which was introduced as a heritage of this vast region known as the city of "Mekerra".

Keywords: Personalities; memory; patriotism; Azza Abdelkader; Sidi Bel Abbes; Resistance; colonialism; history; Mustapha Bin Ibrahim; Mekker.

الملخص:

يمثل موضوع دراسة "الأعلام" محطة هامة في المسار التاريخي للشعوب والأمم والأحواز والقبائل وحتى الأقليات في بعض الأحيان. لذلك وجب على الدارسين لهذه الفئة وقفة تأمل وتمحيص لحياة هؤلاء الذين أصبحوا مع مرّ الزمن يمثلون جزءا من الذاكرة الوطنية و المحلية لاعتبارات عديدة منها، الانتمائية Appartenance والعرقية Race والإثنية Ethnique والدينية Religieuse والإيديولوجية Idéologique وحتى لغرض "التسويق" Marketing في البعض من الأحيان. هذا ما دفعنا إلى اختيار أحد اعلام منطقة سيدي بلعباس، من منطلق واجب الاهتمام بالتاريخ المحلي لإبراز مميزات شخصيات محلية، ساهمت في الحركة التاريخية بمقاومة الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل التي توفرت لديها.

كما تمثل المساهمة في التعريف بأعلام منطقة ما جزء من كتابة التاريخ المحلي ومعه التاريخ العام للجزائر التي تزخر بنماذج وعينات في مجالات مختلفة ومتنوعة بحيث ترفع لها الأعلام تنحني لها الرؤوس إجلالا واعترافا بما قدمت لبلادها من جهد فكري أثرى الحياة السياسية والثقافية للجزائر.

من هذا المنطلق، جاءت ورقتنا العلمية التي تطرح إشكالية الدور الذي ساهم به "عزة عبد القادر" في البيئة المحلية والتعريف بشخصية مميّزة متمثلة في شخص شاعر المنطقة "مصطفى بن إبراهيم"، والتي عرّفت بمنطقة شاسعة وواسعة عرفت ببلاد "المكرّة". La Mekerra. الكلمات المفتاحية: الأعلام؛ الذاكرة الوطنية؛ عزة عبد القادر؛ سيدي بلعباس؛ مقاومة؛ الاستعمار؛ التأريخ؛ مصطفى بن إبراهيم؛ المكرّة. المقدمة:

تمثل مدينة سيدي بلعباس النموذج الفرنسي للمدن الاستعمارية التي شيدها فرنسا على طريقتها الخاصة خدمة لمشروعها التوسعي والاستيطاني في الجزائر والذي شرعت فيه منذ مطلع النصف الأول من القرن التاسع عشر والذي أظهر تناقضا واضحا في الرؤى عند المسؤولين الفرنسيين.¹ وأصبحت مسألة الغزو مسألة البحث عن طريقة لتطبيق سياستها على الجزائريين في شتى مجالات الحياة. حيث طرحت بشدّة قضية القضاء عليهم أو التعامل معهم، من طرف وجوه سياسية معروفة في المشهد الفرنسي منهم: الدكتور "ريكوروني" Ricoux René سنة 1880 وبعده "موريس واهل" Wahl Maurice سنة 1897.² لم تكن مدينة سيدي بلعباس تعيش إلاّ على وقع الأخبار التي كانت تأتيها، من هنا وهناك، حول بعض الانتفاضات التي كانت تشهدها البلاد خاصة منها المناطق المجاورة لها في صورة انتفاضة الشيخ "بوعمامة" من قبيلة "أولاد سيدي الشيخ بمنطقة الجنوب الغربي".³

كما يمثل موضوع دراسة "الأعلام" محطة هامة في المسار التاريخي للشعوب والأمم والأحواز والقبائل وحتى الأقليات، في بعض الأحيان. لذلك وجب على الدارسين لهذه الفئة وقفة تأمل وتمحيص حياة هؤلاء الذين أصبحوا مع مرّ الزّمن يمثلون جزءا من الذاكرة الوطنية والمحلية لاعتبارات عديدة منها، الانتمائية Appartenance والعرقية Race والإثنية

Ethnique والدينية Religieuse والإيديولوجية Idéologique وحتى لغرض "التسويق" Marketing في أحيان أخرى.

أمّا الحديث عن منطقة سيدي بلعباس وأعلامها، على وجه الخصوص، فهو من واجب الاهتمام بالتاريخ المحلي لإبراز مميزات شخصيات محلية، ساهمت في الحركة التاريخية، موافقها في الحركة الوطنية ومساهماتها المختلفة في مقاومة الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل التي توفرت لديها خاصة إذا علمنا أن مدينة سيدي بلعباس كانت من المدن الأكثر تعرضا للتمييز في مجال السياسة التعليمية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية، بمساعدة من الكولون، خوفا من أن يؤدي ذلك إلى تفطن الجزائريين وانتشار الوعي الوطني بينهم.⁴

من هذا المنطلق، جاءت هذه الورقة العلمية التي تطرح إشكالية الدور الذي ساهم به "عزة عبد القادر" في الدفاع عن الجزائريين والعمل على التعريف بشخصية مميّزة متمثلة في شخص شاعر المنطقة "مصطفى بن إبراهيم"، والتي شغلت حيزا كبيرا من تاريخ المنطقة التي كانت تعرف ببلاد "المكرة". La Mekerra.

1- مكانة الدراسة البيوغرافية في دعم الكتابات التاريخية

لم تكن الدراسات "البيوغرافية"، منذ زمن ليس ببعيد، محلّ اهتمام المؤرخين، بل أنّها كانت منبوذة من طرفهم لاعتبارات عديدة، أولها، عزوف المؤرخين عن اعتمادها من الأسس المساهمة في الكتابات التاريخية. وثانيهما، أن هناك حتمية تاريخية رفضت الاستعانة بها كمنتوج جيد وإجراء فكري مقبول في الحقل التاريخي. كما عرفت الدراسات البيوغرافية اهتماما متزايدا منذ النصف الأول من القرن العشرين وذلك لاعتبارات عديدة، أولها كان عزوف

المؤرخين عن اعتمادها من الأسس المساهمة في الكتابات التاريخية ما دام أنها لم تدخل في حقل العلوم المساعدة للتاريخ.

لقد كثرت المنتقيات والأيام الدرّاسية المخصّصة للبيوغرافية عبر العديد من الجامعات العالمية، واهتمّت فرق بحث مخابرها في إخراج أعمالها على شكل مؤلّفات مشتركة بين عدد من الباحثين لتزويد العلوم الإنسانية والاجتماعية بمادّة خام استحوذت على فضاءات المكتبات وأصبحت مادة علمية يعتمد عليها في مختلف الكتابات الحالية.

لقد اهتمت الدراسات البيوغرافية في العديد من المواضيع على النخب بجميع مستوياتها ومكوناتها. خاصة ما تضمنته الحضارة العربية الإسلامية من ثراء في المعرفة جراء ما تضمنه "القرآن" من أصول الدين والفقهاء مكنت المسلمين من تطوير شتى العلوم والسيطرة عليها لأزيد من ثلاثة قرون ونصف. الأمر الذي سمح ببروز نخبة من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء، تأسست بفضلهم "الخزانات" الثرية التي سمحت فيما بعد، لغيرهم، من السير على آثارهم. غير أن الجدال كثر حول تحديد مفهوم "النخب" Elite لعدّة أسباب منها ظاهرة الدلالة المرتبطة بالمفهوم الأصلي للكلمة المتشعب حول نفس الكلمة، الأمر الذي أثقلها وجعلها متناقضة حتى على مستوى استعمالها العادي.⁵

لقد تداولت الأجيال منذ زمن بعيد الفكرة الشائعة التي تقول أنه: لا تاريخ بدون وثائق. مما جعل كتابة التاريخ مرتبطة ارتباطا وثيقا بوجود الوثائق. ومن هذا المنطلق بقي السؤال المنطقي يطرح نفسه بشدّة ألا وهو: إلى أي مدى يمكن للتاريخ أن يقبل الدراسات الأخرى أو ما يسمى بالعلوم المساعدة، مثل البيوغرافية، كعناصر رئيسية في كتاباته؟ علما أن هذه البيوغرافيا تخصّ رجال أصبحوا مع مرّ الزمن أبطال وزعماء كلّ في مجاله وبلاده.

كما أن العلاقة البيوغرافية المعاصرة تبني على نشاط حيوي بين الرغبة البيوغرافية والاستيعاب الفكري الذي يتم بواسطة السيطرة على الطرق المسدودة التي عادة ما تكون مرتبطة بممارساتها.⁶ وبعد عدة سنوات من تنوع وثرأء في تطبيق البيوغرافية واستحواذها على فضاءات المكتبات، عاد الحديث من جديد عن تساؤل نقدي حول البيوغرافيا كمدآة وتجربة علمية رائدة.

2- "عزة عبد القادر" مسيرة مميزة في حقبة زمنية متميزة:

يعتبر الرجل من مواليد مطلع القرن العشرين وبالتحديد في 5 ديسمبر 1905 بمدينة سيدي بلعباس حيث ترعرع في بيئة متأصلة لأرضها وهو من الأطفال الجزائريين القلائل، المخطوظين الذين سمحت لهم الظروف، السائدة آنذاك، بالالتحاق بالمدرسة الاستعمارية وشق الطريق نحو مستقبل أكثر حيوية مقارنة بالعديد من الأطفال الجزائريين في المنطقة.⁷

كان "عبد القادر عزة" من الأطفال المخطوظين، في بداية القرن العشرين، الذين تمكنوا من ولوج عالم التعليم ودخول المدرسة الابتدائية في مدينته ثم التحول فيما بعد إلى مدينة تلمسان أين تابع تعليمه الثانوي في "المدرسة" وبعدها انتقل إلى "المدرسة" في مدينة الجزائر أين أتمّ دراسته فيما بين سنوات 1920 إلى 1927.⁸

كانت دراسته الجامعية مكّلة بالنجاح باعتباره تحصّل على شهادة جامعية من جامعة باريس في اللغة العربية والتي سمحت له بولوج عالم التعليم في سنّ مبكرة وعمره لم يتعدى 24 سنة. وفي ظروف حسّاسة مكّنته من تبوء مكانة مرموقة في المشهد الثقافي للمدينة، الأمر الذي مكّنه من التفرغ للكتابة في محاولة منه لإبراز ما قدّمه رجال ساهموا في ترك بصماتهم في تاريخ منطقة سيدي بلعباس، وكان من أبرزهم الشاعر والقاضي "مصطفى بن إبراهيم".

كما شهدت مدينة سيدي بلعباس، خلال فترة ما بين الحربين، تديني مستوى التعليم ولم تعرف المنطقة بروز نخبة مثقفة مميزة، لأن العنصر الأوروبي هو الذي كان متفوقا على العنصر الجزائري. واعتبر "عزة عبد القادر" من الفئة المحظوظة القليلة التي استفادت من تلك الظروف خاصة إذا علمنا أن المدينة كانت مع مطلع الثلاثينات خاضعة لاستيطان كبير حطّم الحياة الاجتماعية للجزائريين الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على التمرکز في الأحياء العربية خاصة منها حي "القرابة" Graba الموجود على مشارف المدينة والأحياء الأوروبية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن مدينة سيدي بلعباس، المدينة الاستعمارية بامتياز، لم تكن تتمتع بطبقة مثقفة وبوجوازية جزائرية، على شاكلة ما كان موجود في مدن مثل: تلمسان وقسنطينة والجزائر والمدينة. لذلك وجد "عزة" نفسه، مع زمرة من أبناء المدينة المثقفين من أمثال: "العسولي" الذي كان يشغل منصب مستشار بلدي وكانت له ميول واضحة نحو الفكرة الاندماجية للجزائر وبالعامل الحضاري الذي كانت تقوم به فرنسا في الجزائر وفي شمال إفريقيا عامة،⁹ و "لالوت محمد" مستشار بلدي، محصورا بين مجتمع عربي، غالبية غير متعلم، ومجتمع أوروبي عنصري. هذا ما يفسر المسيرة السياسية الفاترة للرجل.¹⁰ حيث كان يتمتع "بالحاسية الاجتماعية" التي كانت عند غالبية المثقفين والأعلام الجزائريين وهي تعبيرا عن سلامة الذوق وإدراك ما يجري في المحيط البيئي من مؤثرات خارجية.¹¹

في هذه الظروف، زار وزير المستعمرات الفرنسي "أندري ماجينو" André Maginot القطاع الوهراني من أجل طمأنة الكولون وإبعاد شبح الخوف الذي سكن نفوسهم جراء تدهور الأوضاع الاقتصادية بسبب تبعات الأزمة الاقتصادية العالمية المتفشية في كافة أنحاء العالم.¹²

جاءت زيارة الحاكم العام "بيار بورد" Pierre Bordes لمدينة سيدي بلعباس، في سياق زيارة وزير الحربية للقطاع الوهراني وفي أجواء التحضير للاحتفالات المغوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانت أكثر لاستفزاز الجزائريين وجرهم إلى حافة البؤس والحرمان وحطت من قيمة ومكانة "المنتخبين الأهالي" في الأوساط الشعبية نتيجة فشلهم في الدفاع عن حقوق الجزائريين وإعجابهم أكثر بالرسالة الحضارية لفرنسا.¹³ والأمر كان أكثر وضوحا بالنسبة لمدينة سيدي بلعباس التي كانت تعج بالأوروبيين، إذ بالإضافة إلى احتفال الكولون بمرور مائة عام على الوجود الفرنسي، فإنها كانت تستعد لتخليد مرور مائة سنة على تأسيس

اللفيف الأجنبي في المدينة.¹⁴ La Légion étrangère

3- "عبد القادر عزة" مثقف من الرعيل الأول للنخبة السياسية بمدينة سيدي بلعباس:

كانت انطلاقة المسيرة المهنية "عزة عبد القادر" في سلك التعليم من مدرسة "سونيس" Sonis كمعلم للغة العربية. ثم تدريجيا، تحول إلى أستاذ في المتوسطة الاستعمارية بداية من سنة 1929. وكان أول جزائري يحض بهذا الشرف في مؤسسة تعليمية سوف تتحول إلى ثانوية "لابرين" Laperrine سنة 1936 (عزة عبد القادر بعد الاستقلال) والتي سيبقى فيها "عزة" يمارس مهنة التعليم طيلة عشرين سنة.

شرع "عزة" منذ سنة 1932 في الاهتمام بالعمل السياسي حيث أسس أول نادي ثقافي إسلامي في مدينة سيدي بلعباس، غير أنه لم يعمر طويلا.¹⁵ وهنا نتساءل عن مدى متانة العلاقة التي كانت تربط "الأستاذ عزة" بهذا النادي وبالحركة الإصلاحية التي كانت تعيش عصرها الذهبي خلال تلك المرحلة عبر ربوع الوطن والتي مكنت الشيخ "مصطفى بلحوش" سنوات 1934-1935 من الاستقرار بالمدينة بصفته أحد الأعلام المكلفين بنشر مبادئ جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين فيها. غير أن الأمور بدت صعبة في البداية بحكم أن الجزائريين كانوا بعيدين كل البعد عن الأفكار الإصلاحية التي كانت تنشرها الجمعية. أضف إلى ذلك أن غالبية السكان من البدو وبدون قاعدة حضارية مقارنة مع ما كانت تعيشه مدينة تلمسان، مثلا. وبما أن غالبية السكان كانوا يتشكلون من الطبقة "البروليتارية" الكادحة، فإن خطاب الزوايا كان أقرب لفكرة الاستيعاب عندهم. بينما القلة القليلة التي كانت تعرف القراءة والكتابة، فكانت تشدها الشعارات الرنانة للنقابات الفرنسية النشطة في هذه المرحلة، مثل: "الكونفدرالية العامة للعمل CGT أو الأحزاب مثل الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري PCF-PCA.

أما الشيخ "بلحلوش"، فكان يقيم حلقات علمية للذكر للتعريف أكثر بضرورة تربية النشأ وتعليمه اللغة العربية وتعليمه المبادئ الأساسية من دينه حتى يتمكن من حفظ كتاب الله. هنا نتساءل عن حقيقة العلاقة التي كانت موجودة، بين طبيعة التعليم الذي كان يلقيه الشيخ "بلحلوش" لساكنة المدينة والمبادرة التي اتخذها "عزة عبد القادر" فيما بعد، عندما قرّر بعث (تكوين-تأسيس) جمعية "العرفان" من أجل دعم الطلبة المسلمين المحتاجين؟ غير أن هذا لا يمنعنا القول والاعتراف بأن المسافة كانت كبيرة بين طموحات "عزة" ومبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

انطلاقا من هذه النقطة المفصلية في مسيرة "عزة" الثقافية، بقيت مسيرة الرجل غير متضحة المعالم في المجال السياسي إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية وإعادة بعث النشاط السياسي في الجزائر وبروز حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA، وزعيمها

"فرحات عباس"، لمشاهدته ينخرط في صفوف هذه الحركة ويخوض المعترك السياسي إلى جانب أعيان و مثقفين كانت مبادئ الحركة المعتدلة، أقرب إلى طموحاتهم...

إلا أننا نعتقد بأن هذا الميول لأفكار "عباس" لم يكن وليد نهاية الحرب العالمية الثانية بل جاء قبل هذا التاريخ وبالتحديد أثناء الحرب، أين قام "عباس" بجولة عبر مدن الغرب الجزائري لشرح أهداف "أحباب البيان والحرية"¹⁶ حيث بدأ زيارته في شهر مارس من سنة 1943 بداية من مدينة "بريغو" Perrégaux (المحمدية في ولاية معسكر) حاليا. ثم جاءت زيارته إلى مدينة سيدي بلعباس مرفقا بجماعة "المحمدية" والمدعو «بن ديمراد عبد القادر» من مدينة تلمسان الذي كان من ضمن الهيئات المؤسسة لفوج "المنصورة" الكشفي بمدينة تلمسان والذي رافقه في كلّ خرجاته الميدانية.¹⁷

في مدينة سيدي بلعباس، أين يكون "عزة عبد القادر" قد حضر تجمع "عباس"، قام هذا الأخير بتقديم شروحات وافية حول سفرته هذه إلى مدن غرب البلاد وشرح محتوى البيان وجمع التوقيعات من أجل إدخال إصلاحات على التركيبة القانونية للحكومة الحالية والتي تمحورت حول النقاط التالية:¹⁸

-الانتخاب العام الموسع إلى كلّ الأهالي الجزائريين.

- انتخاب الحاكم العام بالاقتراع العام.

- الحكم "الذاتي" الكامل للجزائر على شاكلة ما عرفته المستعمرات البريطانية تحت اسم "الدومينيون البريطاني" , Le Dominion Britannique... وكان من ضمن الممضين على هذه الوثيقة السيد "لالوت محمد" Lallout مستشار عام ومستشار بلدي لمدينة سيدي بلعباس.¹⁹ الذي اعتبر أن الكلام عن فكرة الاستقلال أمر مستبعد في الظروف الراهنة التي لا

تسمح بتحقيق مطالب سياسية وأن اهتمامات فرنسا الحالية موجهة نحو الجبهة الخارجية أكثر منه نحو الجبهة الداخلية.²⁰

وجاءت زيارة "عباس" بالتحديد، إلى المدن الغربية التي كان قد أقام فيها فروع لحزبه الذي أسسه قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، لما فشل المؤتمر الإسلامي ومعه مشروع "بلوم- فيوليت" "Le projet Blum-Violette". والواقع أن وجود هذا الحزب ظل محدودا في القطاع الوهراني، حيث كان شبه منعدما في كل من تلمسان ومستغانم. غير أن الغموض بقي يكتنف اتصالات "عباس" ببعض النواب الذين أمضوا على البيان من أمثال: "طالب عبد السلام" من تلمسان و "شتتوف عدة" من معسكر.²¹

كانت حجة الإقناع التي استعملها "عباس" في جولاته للغرب الجزائري تدور حول فكرة، أن الشعب يطمح في دولة جزائرية داخل إطار فيدرالي مع فرنسا، الأمر الذي يجزنا إلى القول بأن البيان لم يكن سوى مرحلة ظرفية لتحديد معالم المستقبل. كما اختلفت المصادر في تحديد عدد النواب الذين أقبِلوا على صياغة وثيقة البيان في العشر من فبراير من سنة 1943، فمنهم من قدرهم بـ 21 نائبا،²² و آخرون قدرتهم بـ 50 نائبا،²³ وهناك من قدر عددهم بـ 56 نائبا.²⁴ إلا أن المتفق عليه بالإجماع هو عدد نواب القطاع الوهراني الذي كان خمسة أعضاء هم:

- عباسة عبد الله، مستشار عام ومندوب في اللجنة المالية، من دائرة مستغانم.
- طالب عبد السلام، مستشار عام ومندوب في اللجنة المالية، من دائرة تلمسان.
- شتتوف عدة، مندوب في اللجنة المالية، من دائرة معسكر.

- بن شيحة بن يوسف، مستشار وطني ومندوب في اللجنة المالية، من دوار "عقب الليل" في بلدية عين تموشنت.

- بشطرزي حاج حسان، مستشار وطني ومندوب في اللجنة المالية، من دائرة وهران.

بعدها، كانت نهاية الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من مأساة الشعب الجزائري جراء إقدام الفرنسيين، بمختلف تركيباتهم، على ارتكاب أبشع الجرائم في حق شعب أعزل ذنبه الوحيد أنه خرج للتعبير عن فرحته بانتهاء هذه الحرب، من جهة، وأماله في أن يحصل على مطالبه المقدّمة أثناء الحرب والمعبرة على رغبته في الحصول على استقلاله والتمتع بسيادته على أرضه. هذا ما نظنه كان دافعا لـ "عزة عبد القادر" الاهتمام بالشأن السياسي بعدما تأثر بالمجازر التي لحقت بالجزائريين وأيضا لأن الأفكار التي كان يروج لها "عباس" كان لها وقعها على شخصية "عزة". بما أنها تهدف إلى التخفيف من الروع الذي استتب في الجزائر عند المجتمعين، الجزائري والأوروبي، عقب مجازر الثامن ماي من سنة 1945.²⁵

4- نهاية الحرب العالمية الثانية وبروز "عزة عبد القادر" في تاريخ مدينة سيدي بلعباس:

يعتبر "عبد القادر عزة" من المثقفين البارزين في منطقة سيدي بلعباس، غير أنه لم يترك بصمته في العمل السياسي، على غرار رجال أمثال: "لالوت" و "العسولي" و "بن ديمراد"، حيث أن المرحلة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية وأثناءها، وإلى غاية إنشاء خلايا UDMA في الغرب الجزائري وفي مدينة سيدي بلعباس، لم تكن سوى مرحلة نشاط ثقافي وتعليمي لصالح الأهالي الجزائريين. كما أنه من الذين ساهموا بشكل كبير في إبراز الجوانب الخفية التي ميزت الحياة الاجتماعية والثقافية لمدينة سيدي بلعباس. بعدها قام بوصف رجال

أصبحوا مع مرور الوقت يمثلون نماذج رائعة لمنطقة متجذرة في بيئتها والتي حاول الكثيرون نعتها بالمدينة التي صنعها الاستعمار الفرنسي مع منتصف القرن التاسع عشر.²⁶

دعمت الصحف الاستعمارية المحلية وجهة نظر الكولون في موقفهم واعتبرت أن المسألة الأهلية لا تحلّ إلاّ بتوسيع عملية الاستيطان وتدعيمه بكلّ الوسائل الإنتاجية تسمح لهم بإظهار محاسن الحضارة الفرنسية.²⁷ وشهدت مدينة سيدي بلعباس في هذه الأثناء إقامة المعمرين لتجمع كبير في قرية "ديتري" Détrie (سيدي لحسن) حاليا، حذر من خلاله "لوسيان بيلات" Lucien Bellat، رئيس بلدية سيدي بلعباس، من رفع أجور العمال الجزائريين لأن ذلك من شأنه أن يجعلهم أكثر تفتنا ومطالبة بإصلاحات كبيرة ويجعلهم أكثر تمردا على المعمرين وعلى السلطة الإدارية.²⁸

4-1 "عزة" مستشار بلدي ومدافع عن حقوق الأهالي: انخرط "عزة" في صفوف فرع حزب "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"، الذي أنشأه "عباس"، عقب نهاية الحرب العالمية الثانية حيث تمكن من الحصول على مقعد في المجلس البلدي كمستشار يعد انتخابات سنة 1947. وقد احتفظت أرشيف المدينة "بمذكرة" اقترحها "عزة عبد القادر" والتي صادق عليها المجلس البلدي للمدينة يوم 15 أفريل 1947. وتمحور نص هذه المذكرة حول الوضعية المزرية التي كان يعيشها الشباب الجزائري في المدينة خلال تلك الفترة إلى جانب بعض القضايا التي كانت تشغل بال "عزة".²⁹ كما جاء في المذكرة المقدمة والمصادق عليها، مجموعة من النقاط الهامة التي كانت تمس حياة ومستقبل الجزائريين، بكل أطيافهم، استهلها "عبد القادر عزة" بالعبارات التالية:

"بالتذكير بالوضع الراهن التي يعيشه الشباب الجزائري و شباب المدينة، الذين أصبحوا تائهين عبر أزقة المدينة معرضين لكل أنواع الانحرافات و البؤس و الضياع... لا أحد يهتم لإيجاد حلول لوضعهم بل بالعكس، الجميع يشتكي من تصرفاتهم السيئة و حقدهم و مزاجهم المتقلب و المائل نحو السرقة و وقاحتهم التي تشكل خطرا على المجتمع (الأوروبي بالطبع) ما يجعل منهم جرح اجتماعي خطير، خاصة و أن عددهم في تزايد مستمر سنة بعد سنة.. 30

منذ أمد بعيد وهم يعانون التهميش. فلا مكان لهم في المدارس ولا أولياء يهتمون لمستقبلهم ولا إدارة ترغب في إدماجهم في الحياة الاجتماعية لمدينتهم، ما جعلهم يجدون أنفسهم في الشارع بحثا عن ملاذ لهم عبر الأزقة و في الأسواق و المقاهي، فتحوط المدينة كلها مكانا لهم. (في قبضتهم) هذا هو الثمن الذي كان على الجزائريين دفعه للنظام الاستعماري، الذي جعل من الجزائريين متسولين، جياع و بؤساء. كما أن هناك مشاريع جميلة وضعتها الإدارة الاستعمارية في مجال تعليم المسلمين الفرنسيين، غير أنها بعيدة الأمد ولن تمتص هذا العجز عند الشباب الجزائري إلا بعد مرور عشرين سنة. الأمر الذي يبقى الوضع على حاله في الحاضر بما أن الإدارة لا تنوي إدخال إصلاحات إلا تلك التي عهدتها السياسة القمعية و البوليسية...

و باعتبارنا منتخبين و مثقفين من المجتمع، مجبرين على الاهتمام بهذا المشكل الاجتماعي الذي يعاني منه الطفولة المحرومة، الطفولة البائسة، الطفولة و الشيبية، هي الشعب.. هي جزائر الغد. إننا متأثرون مثلكم بهذا المشهد المحزن، لهذا السبب قررنا العمل على إصلاح الأوضاع العامة التي يعاني منها أبناء الجزائر... إننا نقدم حلاً نراه مناسباً لتحسين الأوضاع العامة، وهو

حلاً جذريا يتمثل في عدم منحهم إعانات ظرفية وعابرة تشجعهم على الكسل، من جهة، بل إدماج هذه الخثالة الإنسانية، ضحية لنظام استعماري بشع، في نسيج اجتماعي يمكن المجتمع من الاستفادة منهم في جميع مجالات الحياة اليومية...

لقد طالعتنا الصحافة والسينما، مؤخرا، عن العجز الكبير الذي كانت تعانيه "المتروبول" وحتى الجزائر، بخصوص نقص في اليد العاملة المؤهلة، مما يجعل المشروع المقدم قادر على تغطية هذه النقائص وتلبية الاحتياجات والمتطلبات...

إننا نعلم أن البلدية لوحدها غير قادرة على تغطية نفقات مشروع كبير ومكلف من هذا الحجم، ونعرف أيضا، أنها مهمة صعبة وطويلة الأمد. لذلك نريد تأسيس هذه المؤسسة "لما قبل التمهين" *Entreprise de préapprentissage* في مدينتنا كما هو موجود في مدينة الجزائر و في مدن أخرى، سوف تكون هذه المؤسسة المدرسية ذات طابع صناعي وحرفي و تحت مسؤولية ومراقبة المكتب الخيري الإسلامي *Bureau de bienfaisance musulman*³¹ الذي سيساعد على تمويل المشروع بنسبة كبيرة. وبهذه الطريقة ستصبح هيئة (مؤسسة) مستقلة مشاهمة لعيادة متعدّدة التخصصات. *Polyclinique* وبهذه الطريقة يتمكن المكتب الخيري الإسلامي من ترشيد نفقاته و استغلالها بطريقة عقلانية وللفادة العامة...

لهذا الغرض، نطالب البلدية بمنحنا قطعة أرض لاستغلالها في هذا المشروع، حيث ستتكلف مصلحة الأشغال التابعة للبلدية ببناء هذا الصرح. بمساهمة خزينة المكتب الخيري الإسلامي إلى جانب الإعانات المالية المختلفة التي مصدرها مختلف المكاتب الخيرية والبلدية و لجان "مسكين" *Comités des Mesquines* من أجل إنهاء الأشغال... وانطلاق الأشغال

الجديدة التي تتطلب عتادا جديدا وفعالا، سوف تخضع لشروط خاصة ما دام أنها تحتاج إلى إعانة خاصة من السلطة العليا للبلاد.

سوف تشكل هذه المؤسسة التعليمية من أربع ورشات متخصصة في مجالات: الحديد والجلود والحلفاء والخشب وتسير من طرف أساتذة متخصصون وتحت إشراف مدير المركز التكويني. وسيخضع الطلبة إلى عملية انتقاء ممنهجة تساعد على توجيههم كل حسب اختصاصه.

كما تهدف السنة الأولى من "قبل التمهين" إلى ضبط وتمييز مؤهلات هؤلاء الشباب وتطوير قدراتهم اليدوية من أجل استغلالها في محيط سليم يساعد على توجيههم مستقبلا، مهنيا ووفق مؤهلاتهم ومتطلبات سوق الشغل. (العمل). كما علينا تلقينهم معلومات (معارف) نظرية وتجريبية وعملية حتى نتحصّل على يد عاملة مؤهلة وفعالة (مؤثرة)... لهذا ستكون المؤسسة مفتوحة أمام كلّ الجزائريين دون تمييز عرقي أو ديني... ويندرج هذا الإنجاز ضمن المخططات العملية البلدية في الجزء الثامن المخصص للتنظيم والتعلّم في الجزائر...".

كانت تنبؤات "عزة" في محلّها، غير أن الإدارة الاستعمارية لم تولي له الأهمية البالغة لتخفف من حدّة الموقف ووقعه على الشباب الجزائري الذي سوف يتحول، مع مرور الوقت، إلى كابوس حقيقي ينكّد عليهم حياتهم ويقارعهم في مجالات الحياة اليومية مما سيجعلهم يشكلون النواة الأولى لأفواج جبهة وجيش التحرير الوطني الذي سيخلص البلاد من عبودية الاستعمار الفرنسي التي طال وجوده على أرض الجزائر.

تخوفت الإدارة الاستعمارية من هذا المقترح الذي قدّمه "عزة"، من أجل إيجاد حلول لهذه الشبيبة المهمشة. حيث أقدم رئيس دائرة سيدي بلعباس في سنة 1950 في تقرير موجه إلى

حاكم العمالة، بالتنديد بأعمال عناصر المكتب الخيري الإسلامي للمدينة ومن بينهم "عزة" نفسه. وبالنسبة للإدارة الاستعمارية فإن نشاط هذا المكتب أصبح يشكل جهازا للدعاية لحزب UDMA.

2.4 "عزة عبد القادر" بين المسرح والفرقة الفنية والموسيقية "الأمل": لم تقتصر مجهودات "عزة"، في سبيل تطوير الجزائريين والرفع من مستواهم الثقافي، من بوابة عضويته في المجلس البلدي، بل تعداه إلى وجوده ضمن العناصر المثقفة والنشيطة داخل حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، التي اتفقت سنة 1948 مع عناصر من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD من أجل تأسيس "الجمعية الثقافية والموسيقية الأمل" وفي محاولة لاستغلال أبسط شبر من الفضاءات المخصصة لحرية التعبير التي منحتها لهم الإدارة الاستعمارية، وظف شباب الجمعية كل طاقاتهم في التعبير المسرحي.

اهتم "عبد القادر عزة"، منذ البداية، بالمسرح لأنه كان يمثل المنبر الوحيد المتاح أمام المثقفين الجزائريين للتعبير عن شعورهم ومواقفهم تجاه السياسة الاجتماعية والثقافية المطبقة من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية في حق الجزائريين. ويبدو أن أب المسرح الجزائري السيد "محي الدين بشطرزي" قد ذكر "عزة" في إحدى الحوارات الصحفية التي خصّ بها الصحفي "بودالي سفير" سنة 1932، حين نوّه بالدور الذي يلعبه "أستاذ من مدينة سيدي بلعباس" في التعريف "بالمسرح العربي" واعتبره كاتب مسرحي بامتياز يعمل على تطوير المسرح. وحينها كان "عزة" الأستاذ الجزائري الوحيد من الأهالي في المدينة حيث كان يعرف مسرح "بشطرزي" في تلك الظروف رواجاً كبيراً في مدينة سيدي بلعباس، كما ذكر ذلك "عزة" في مذكراته.

كان المسرح يمثل المتنفس الأكثر تعبيرا لانشغالات الجزائريين، لذلك اعتمده أفراد "الجمعية الثقافية" للمدينة في إحدى المسرحيات التي عرضت في 28 ماي 1948 بالمسرح البلدي، حين عرضوا أمام البلدية الشيوعية الجديدة بقيادة "جوسترابو" Justرابو مسرحية بعنوان: "اللغة العربية كما تنطق..". "L'Arabe comme il se parle"، و ذلك تنديدا بالتهميش الذي لحق بها في منظومة التعليم العام الفرنسي بالجزائر و أيضا طرح مسألة "التهجين" الذي لحق بها جراء استعمال الكلمات الدخيلة مثل الفرنسية و الإسبانية، و التي لوّثت هذه اللغة الشريفة.

إلى جانب ذلك، فقد تناولت المسرحية، التي كانت من نسج أستاذ اللغة العربية "عزة عبد القادر"، الظروف الصعبة التي كان عليها العمال الزراعيين المسلمين واستغلالهم من طرف الكولون. وكانت الأناشيد التي بثت بعد العرض المسرحي دليل على أن شيء اسمه "الوطنية" بدأ يطفوا على سطح الجزائر.

ومن محاسن الصدق، أن "عزة عبد القادر"، الذي كان يشغل منصب نائب رئيس البلدية في عهد "جوسترابو" الشيوعي، كان في استقبال الفرقة المسرحية المصرية للكاتب المسرحي الكبير "يوسف وهبي" التي حلّت بمدينة سيدي بلعباس في مارس من سنة 1952 وحظيت بترحاب كبير من طرف الجزائريين وعبر "عزة" على إعجابه الكبير بالمستوى الرفيع للمسرح المصري الذي أوصل المسرح العربي إلى هذا المستوى. وقد كانت له مسرحية أخرى بعنوان "عهد الدّم"³² "Le pacte de sang".

5- نشاط "عزة عبد القادر" أثناء حرب التحرير الوطني:

شهدت مدينة سيدي بلعباس مع مطلع سنة 1954 حركة سياسية متمثلة في إجراء انتخابات الجمعية البرلمانية الجزائرية للفئة الثانية Deuxième collège وكان "عزة" حينها قد ارتبط بمرشح حركة الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري المدعو "بوكروش محمد" وأحد القياد القدامى من الهضاب العليا الذي كانت الإدارة الاستعمارية قد عزلته من منصبه. حيث قام "عزة عبد القادر" بتنظيم عدة تجمعات لصالح مرشح UDMA في سيدي بلعباس وبلدية "تلاغ" المختلطة، تحت حراسة ومتابعة من مصالح الشرطة الاستعمارية. غير أن هذه الانتخابات تم إفسادها بعملية تزوير انتخابية على نطلق واسع استفاد منها المدعو "بن عفان" مرشح "التجمع

الفرنسي الإسلامي "L'Union Franco-Musulmane".

اتنابت "عزة" دهشة وحريرة عندما اندلعت شرارة الثورة التحريرية الكبرى، حيث كان لوقع العمليات التي نفذتها عناصر جبهة التحرير الوطني الآثار النفسية على سكان مدينة سيدي بلعباس، التي بقيت هادئة وتترقب ما ستسفر عنه الأيام المقبلة. كما قامت السلطات الأمنية الاستعمارية بحملة اعتقال واسعة النطاق في صفوف مناضلي الحركة الوطنية والإصلاحية. غير أن "عزة عبد القادر" لم يكن اسمه مدونا في مختلف التقارير الأمنية ضمن قوائم العناصر التي قد تشكل خطرا على الأمن والاستقرار في المدينة نظرا لماضيه السياسي غير المنحاز والتميز.

باتت الوضعية الأمنية في البلاد غير مستقرة بعد الهجمات المتعددة التي قادتها جبهة و جيش التحرير الوطني عبر نقاط عديدة و متفرقة من الوطن، و كغيرهم من المناضلين، أصبح مناضلو فرع UDMA لمدينة سيدي بلعباس يعيشون على وقع الأخبار المتنامية للتشكيكية

السياسية الجديدة التي فجرت الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، الأمر الذي دفع بمسؤولي حزب "البيان" إلى تحذير مناضليهم، الذين كانوا أعضاء في الأجهزة الإدارية للمدينة (مستشارين)، من عدم المشاركة في التظاهرات التي كانت مبرمجة في 14 جويلية 1955 و أخذ الحيطة و الحذر و الابتعاد عن السلطات الاستعمارية. هذا ما دفع بعدد كبير من المستشارين التابعين إلى UDMA من تقديم استقالتهم من المجلس البلدي في ديسمبر 1955 بطلب من رئيس الحركة السيد "فرحات عباس".

هكذا سارت أحداث حرب التحرير في ربوع الوطن وبقي "عزة عبد القادر" في حالة ترقب يشاهد تطور الأحداث المأسوية التي بدأت تنتشر في البلاد خاصة منها الحملات القمعية التي طالت الأوساط الجزائرية. وفي سنة 1957 قرّر "عزة" مغادرة مدينة سيدي بلعباس نحو فرنسا، في البداية، ثم نحو المغرب أين درّس في مدن "فاس" و "طنجة" و "مراكش". وبالموازاة مع مهنة التدريس شغل منصب مسؤول جبهة التحرير في شمال المغرب... هنا نطرح السؤال الذي نرى أنه بقي دون إجابة: لماذا منحت له هذه المهمة؟ مع العلم أنه غادر البلاد في أعز مرحلة الحرب أين كانت الجزائر في أمس الحاجة لكفاءات وطنية من أجل تنظيم الثورة؟؟؟؟

1.5- "عزة عبد القادر" في جزائر الاستقلال: عاد "عزة عبد القادر" إلى البلاد مع مطلع الاستقلال وبالتحديد إلى مدينته سيدي بلعباس، حيث عين مباشرة في منصب "مدير" في ثانوية "لابرين" Laperrine التي تحولت إلى ثانوية "الفلاح" بعد الاستقلال. وكرّس كلّ جهوده في خدمة مهنته وبالموازاة مع ذلك، عكف على كتابة أعماله الأدبية وخصّ بها أحد أعلام المنطقة وهو شاعر "بني عامر" الشيخ مصطفى بن براهيم...

يبدو أن "عزة" كان ينتظر الوقت المناسب لتحسيد مشاريعه الثقافية العديدة، غير أن الموت فاجته في مسقط رأسه ذات يوم من 19 أبريل من سنة 1967. وهكذا فقدت الجزائر ومدينة سيدي بلعباس قامة من قامات المعرفة ونموذج للتواضع في العمل والأمور الجادة. وقد سارعت السلطات المحلية للمدينة إلى تخليد أحد أبناء المدينة المهذين والبارين بإعطاء اسمه إلى الثانوية التي قضى فيها جزء هام من حياته المهنية في مرحلة عصيبة كانت السنين الأولى للاستقلال والتي لا زالت تحمل اسمه إلى يومنا هذا.

غير أنه ترك لعشاقه إحدى الآثار الأدبية الكبيرة و المتمثلة في تخليده " لدرع الفرس" Barde الغرب الجزائري (البردعة) الشاعر "مصطفى بن إبراهيم" الذي أصدرته الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة 1979..³³ وأعيد طبعه سنة 2011 في تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

2.5 النشاط الثقافي لـ"عزة عبد القادر": باستثناء الدراسة التي قدمها حول "مصطفى بن إبراهيم" لا نعرف لعزة عبد القادر نشاطات أدبية كثيرة باستثناء بعض الكتابات الصحفية. غير أننا نجد اسمه في الدراسة التي قدمها "جون ديجو" Dejeux Jean في مؤلفه "البيبلوغرافيا المنهجية و النقدية حول الأدب الجزائري باللغة الفرنسية- 1945-1977" - كما نجد له آثار في مجلة "فورج"³⁴ Forge حيث نشر فيها إحدى رواياته سنة 1947..

لم يكن "عزة" المثقف الوحيد الذي نشر في هذه المجلة بحيث نجد أنها كانت منصة لعدد من المثقفين الجزائريين ومنهم "البودالي سفير" الذي نشر فيها مقال بعنوان: "بخصوص السجين" A propos du captif تخليدا للكاتب الإسباني "ميغال دي سرفانتس" Miguel de Cervantès صاحب كتاب "دون كيشوت" Don Quichotte و الذي قضى سنوات

عديدة في سجون الجزائر. كما يشاع أن "عزة" قد نشر عدد آخر من القصص الأدبية باللغة العربية، غير أننا لم نجد آثار لهذه الكتابات. كما تميزت نشاطاته الثقافية بعمل أنجزه سنة 1960 لما كان في المغرب رفقة الفنان الجزائري "أحمد وهبي"، الأمر الذي جعله يتحصّل على عدّة جوائز أدبية في تظاهرات ثقافية مختلفة.

مزج "عبد القادر عزة" بين العمل التربوي الاجتماعي، من خلال وظيفته التعليمية ومبادراته في إنشاءه للنادي الثقافي الإسلامي وتأسيسه لجمعية "العرفان" سنة 1937 في مدينة سيدي بلعباس، والعمل السياسي، بانخراطه في صفوف الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. لأنه كان متشبعا بأفكار ومواقف "فرحات عباس" في نضاله الوطني.

تحليل النتائج:

- الدور التربوي والتعليمي الذي قام به "عزة عبد القادر" منذ سنة 1929 جعله يبرز كأحد أعلام المدينة.
- كانت بداية اهتمامه بالجانب السياسي عن طريق إنشاءه لأول نادي ثقافي إسلامي في المدينة خلال سنوات 1935-1936.
- اهتمامه بالعمل الخيري من بوابة التكوين داخل جمعية "العرفان".
- التوجه للعمل السياسي الحقيقي عندما انخرط في صفوف UDMA.
- دخول المعترك الانتخابي والنجاح في انتخابات البلدية سنة 1947 حيث أصبح بموجبه مستشارا بلديا.

- جاء اهتمامه بالمسرح والموسيقى بحثا عن استغلال كلّ الفضاءات التي تسمح بالتعبير عن مطامح السكان.

- ازداد نشاطه مع بداية الثورة عندما دعم مرشح حزب الاتحاد للبيان الجزائري لانتخابات سنة 1954 حيث قام بعقد عدّة تجمعات شعبية. غير أنه غادر البلاد في ظروف صعبة.

- عاد بعد الاستقلال لتقلد مناصب تربوية تعليمية من جديد إلى غاية وفاته سنة 1967.

الخاتمة:

عمل "عزة عبد القادر" طوال حياته النضالية ومساره السياسي على فهم السياسة الفرنسية تجاه بلاده وبني جلدته محاولا التعبير عن وجوده بالقلم والجهد المعرفي ووظيفته التعليمية التي كانت تعتبر أهم ما ورثه من هذا الاستعمار الغاشم. واحتضنت مدينة سيدي بلعباس مولده وصباه، وتركت في ذهنه "الحي العربي" المعروف "بالقراية" الذي حمل كلّ أماله وأفكاره وجرأته في التصدي للاستعمار من بوابة ما كتبه عن أحد أكبر شعراء الملحون في المنطقة، وهو الشيخ "مصطفى بن إبراهيم".

لعلّ أن أكبر إنجاز فكري وعلمي الذي قدمه "عزة عبد القادر" لمنطقة سيدي بلعباس هو تعرضه للتراث الأدبي والشعري الذي خلفه أحد أعلام المنطقة وهو الشيخ "مصطفى بن إبراهيم" الملقب بشاعر المنطقة أو شاعر قبيلة "بني عامر". وقد عمل "عزة" على الحفاظ على هذا التراث من النسيان والاندثار لأنه كان يمثل منبعا حقيقيا للشعر العربي البدوي في مراحل تاريخية كانت تظهر وتغير حسب الظروف والمكان.

ارتبطت مسألة تأريخه لأعلام المنطقة، وبالتحديد للشاعر "مصطفى بن إبراهيم"، من منطلق تأثره منذ الصغر بالشعر الملحون البطولي الذي كان مؤلفا من مقاطع سهلة الغناء. لذلك

وجد في "مصطفى بن إبراهيم" الإلهام الذي كان ينقص في مشواره الثقافي والعلمي ما دام أن هذا الشعر كان يمثل الديوان الذي اعتمد عليه عدد من الفنانين و "القوالة" الذين اعتبروه كترًا استغلوه في أغانيهم وأناشيدهم الشعبية، سواء كانت في الحفلات الرسمية أو في ساحات الأسواق الشعبية. وقد اعتمد على معرفته وصفته كباحث في الحفاظ على الذاكرة المحلية لمنطقة كانت قد عانت من ويلات الاستعمار حيث اعتبرت من أهم معاقل "الكولون" في الجزائر وإحدى المناطق التي تباغت بها فرنسا الاستعمارية.

بالإضافة إلى ذلك، كان "عزة" أكثر حضورا في حياة أهله إذ أوكلت إليه مسؤولية أخواته وإخوته في فترة حساسة من حياته عندما كان منشغلا ببحوثه ومهنة التدريس. غير أن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بكل أفراد عائلته إلى غاية وفاته ذات يوم في 19 أفريل من سنة 1967.

الهوامش :

- 1- Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine – la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871,, T1, PUF, Paris, 1964, pp 210-213, et voir aussi : pp 330-339-352-434.
- 2- Charles Robert Ageron, Les algériens musulmans et la France, T1, PUF, Paris, 1968. Voir les pages : 129-201-277-293-494-506-.
- 3- Abdelkader Hani, Histoire de la presse locale à Sidi Bel Abbes, In Histoire de la région de Sidi Bel Abbes durant la période coloniale 1830-1962, T2, sous la direction du Professeur Medjaoud Mohamed, éditions Er Rachad, SBA, 2005, p 13.
- 4- Abdelkader Hani..., op.cit..., p 22.
- 5- Nouara Hocine, Les intellectuels Algériens, mythe, mouvance et anamorphose, des années de braise aux années de feu, éditions Dahlab-ENAG, Alger, 2005, p 32. Et pp 72-75.
- 6- Martine Boyer, La relation biographique, champ-vallon éditions, Paris, 2005, p 77.
- 7- ولد عبد القادر عزة في الخامس من ديسمبر من سنة 1905 في وسط عائلي محظوظ وميسور الحال. إذ كان والده "قدور ولد بن صابر" من قبيلة "أولاد علي" يشغل منصب "عون محكمة" Huissier في محكمة

سيدي بلعباس، وكان يعتبر، حينها، من أعيان المدينة. وفي هذه الأجواء العائلية الحميمة، ترعرع "عبد القادر عزة" متمسكا بأجواء الانتماء للقبيلة وثقافتها وطريقتها الصوفية باعتبار أن والده كان أيضا "مقدم" فرع زاوية الشيخ السنوسي لمدينة مستغام. لمزيد من المعلومات طالع كل من:

- Abdelkader Hani..., op.cit., pp 22-23

- Abdelkader Azza, Mostefa Ben Brahim, barde de l'Oranais et chantre des Béni Ameer, ENAG éditions, Alger, 2011, p5.

8- Abdelkader Hani..., Ibid., p 23.

9- L'Echo d'Oran, N° 242, du 04/01/1937, « Intervention de Mr Victor Arrighi, délégué du Parti du Peuple Français pour l'Afrique du Nord, lors du 1^{er} congrès du parti. Suivi d'une allocution de Mr Lassouli., p 13.

10- Abdelkader..., op.cit., p 22.

11- الصديقي محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، ج3، موفم للنشر، الجزائر، 2000، ص 1062 .

12- "أندري ماجينو"، (1877-1932)، رجل سياسي فرنسي، تقلد منصب وزير الحربية خلال فترتين زمنييتين 1924-1922 ومن 1929-1932. وهو صاحب فكرة إقامة خط دفاعي بين فرنسا وألمانيا على الحدود الشرقية لبلاده، حمل اسمه. وقد ركز خلال زيارته للقطاع الوهراني على المنطقة الجنوبية الغربية التي كان يرى فيها خطرا على مصالح ومستقبل الكولون. طالع:

- Voir : L'Echo d'Oran, N° 21349, du 26 février 1929.

13- جاءت زيارة "بوردي" إلى مدينة سيدي بلعباس بعد انتخابات سنة 1929 التي أطاحت برئيس البلدية

السابق "ألبيير ليسبون" Albert . Lisbonne و تنصيب رئيس البلدية الجديد "لوسيان بيالات" Lucien Bellat الذي كان ينتمي لليمين المتطرف. طالع:

- Voir : : L'Echo d'Oran, N° 21583, du 18 octobre 1929.

14- Hani Abdelkader..., op.cit., p 23.

15- لا توجد معلومات كثيرة عن هذا النادي الثقافي نظرا لشح المصادر حوله. و ربما لأن نشاطه لم يكن بتلك الحيوية التي تمكنه من مقارعة النوادي الاستعمارية أو حتى الجمعيات التي كانت موجودة في المدينة في تلك الفترة الزمنية؟؟

16- لقد صرح "فرحات عباس" بهذا الشأن قائلا: "إن البيان تمت المصادقة عليه بالإجماع في فبراير من سنة 1943 من طرف ممثلي حزب الشعب الجزائري الذين كانوا موجودين بالعاصمة. ولما لاحظت بأن ذلك غير كاف، قمت بجولة عبر الوطن لعرضه على مسؤولي ومناضلي حزب الشعب من أجل الحصول على موافقتهم

عليه. " وقد ذكرت ذلك أيضا، المصادر الأمنية الفرنسية التي قالت بأن البيان وضع بعد مشاورات بين مختلف مناضلي العمالات الثلاث. لمزيد من المعلومات طالع كل من:

- A.W.O, (BP), P/O, 201, CIE N° 305, du mois de mars 1943.

- Abbas Ferhat, Guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, T1, éditions Julliard, Paris, 1962, pp 142-143.

17- شرع "عباس" في زيارته للمنطقة الغربية من بوابة مدينة "بريغو" (المحمدية) بداية من 23 مارس 1943

أين التقى بالمدعو "حمام محمد"، رئيس جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين وجماعته، ثم انتقل إلى مدينة "وهران"

في 25 من نفس الشهر، أين التقى بالسيد "حاج حسين باشتارزي بن عودة"، الذي كان يشغل منصب

مستشار عام بلدي و نائب مالي و بمجموعة أخرى من المسؤولين المحليين و منهم نائب شيخ بلدية وهران

السيد "مكي" الذي كان في نفس الوقت يشغل منصب مدير جريدة "صدى وهران" L'Echo d'Oran، ثم

بعدها انتقل إلى مدينة "مستغانم" أين التقى بالسيد "عباس". لمزيد من المعلومات طالع كل من:

- Abbas Ferhat., La nuit coloniale., op.cit., p 143.

- A.W.O, Boite 4480, rapport de police N° 1272, du 30 mars 1943.

18- A.W.O, Boite N° 4476, préfecture d'Oran, du 27/04/1943.

19- A.W.O, Boite N° 4480, rapport du s/ préfet de SBA, N° 62 du 21/04/1943.

20- A.W.O, Boite 4062, CIE, N° 118, du 27/02/1939.

21- احتوت قائمة الذين أمضوا على البيان أسماء عديدة تقلدت في مرحلة ما، مناصب مسؤولية في اللجان

المالية ومستشاري بلديات. لمزيد من المعلومات طالع:

- Collot Claude et Henry Jean Claude, Le mouvement national algérien, textes 1912-1954, 2^{ème} éditions, OPU, Alger, 1981, pp 164-165.

22- Collot Claude et Henry Jean Claude., op.cit., p 170.

23- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات 1925-1954، ج2، م.و.ك. الجزائر، 1988، ص 367.

24- Simon Jacques, Messali Hadj 1898-1974, la passion de l'Algérie libre, Tirésias éditions, Paris, 1998, p 102.

25- يرى البعض أن "عزة"، ربما منجذب للخطاب المعتدل المقدم من طرف "فرحات عباس" و بالمشروع

الذي لا يريد اندماج و لا انفصالية و لكن السير قدما في طريق البناء الديمقراطي بكل مقوماته في ظل دولة

كبيرة هي فرنسا...؟؟؟ لمزيد من المعلومات طالع:

-Abdelkader., op.cit., p 24.

26- بدأت فرنسا ومعها الكولون، يتخوفون من انتشار هذه الموجة الثقافية الجديدة والمتمثلة في بروز "النخبة

المتقفة" الجزائرية والتي كانت تنشط في إطار شرعي وفي كنف القوانين الفرنسية. وأصيب الكولون في القطاع

الوهراني بقلق شديد وتخوفهم من هؤلاء المثقفون، ومنهم: "طالب عبد السلام" و "بن رحال محمد"، الذين

طالبوا بحق المسلمين الجزائريين في التمثيل داخل اللجان الرئيسية الثلاث للمجلس العام بوهرا. هذا ما اعتبره الكولون خطرا على مصالحهم واعتبروه خطوة للمسلمين لتكوين جماعة متطرفة تعمل لصالح بعث فكرة الوطنية الجزائرية. لذلك اعتبروا أن الطرف الوحيد المخول بالحديث عن الجزائريين هم "الرؤساء الأهالي" الممثلين في الهيئات الإدارية الفرنسية... لمزيد من المعلومات طالع:

- Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien 1919-1954, T1, Edif 2000, Alger, p 54.

27- حذر رئيس بلدية سيدي بلعباس، "لوسيان بلاط"، أعضاء المجلس البلدي من رفع أجور العمال،

مستعملا عبارات يندى لها الجبين. مشبها إياهم بالبعال؟؟ هذا ما أثار حفيظة "عزة عبد القادر"... لمعلومات أكثر طالع:

- Voir le journal, « Le cri de Bel Abbes », N° 11, du 11 avril e N° 26, du 12 juin 1930.

28- ANOM, GGA, série 3H/ Algérie, 12H13, réforme 1930-1936, fédération des élus, congrès musulman, commission d'enquête Lagrosillière.

29- تحدث عن هذا الأرشيف السيد "هني عبد القادر" الذي شغل في مرحلة سابقة منصب مسؤول الأرشيف على مستوى مدينة سيدي بلعباس ومدينة وهران. الأمر الذي مكّنه من الاطلاع على كمّ هائل من الأرشيف مما ساعده على نشر العديد من المقالات وحتى كتب لها علاقة بتاريخ المدينة. وهو ينشط حاليا حصة في إذاعة سيدي بلعباس حول الأرشيف والذاكرة المحلية تتعرض لمسار شخصيات معروفة وغير معروفة في تاريخ مدينة ومنطقة سيدي بلعباس....

30- Hani Abdelkader..., op.cit., p 24.

31- يعود تاريخ إنشاء هذا النوع من المكاتب الخيرية إلى نهاية القرن التاسع عشر عندما حاولت الإدارة الاستعمارية منع كارثة اجتماعية وعائلية كادت تعصف بالبلاد. لمزيد من المعلومات طالع :

- M.M.Aumerat, (1899), Le bureau de bienfaisance musulman, revue africaine, N° 43, Alger, pp 182-203.

32- صدرت المسرحية في كتاب صدر سنة 1984. أي بعد 17 سنة من وفاة عزة عبد القادر... من أجل معلومات أكثر طالع :

- Abdelkader Azza, Le pacte de sang, SNED, Alger, 1984. (172 p). Il est cité dans le catalogue général SNED-ENAL 1966-1986...

33- Azza Abdelkader, Mostefa Benbrahim, barde de l'Oranais et chantre des Béni Amer, SNED, Alger, 1979.

34- Nuit sur la M'leta (M'lata), In revue Forge, N°4, juin-juillet 1947..(Forge est un périodique qui paraissait à Alger).